مجلة الرائد

العدد : ٢٤١ الموافق في ذو الحجة ١٤٢٤ هجري ٢/٢٠٠٣ ميلادي

عنوان المقال : الطلاق التربوي	الكاتب : سهى عبد الحميد أحمد

فرضت فاجعتُها عليَّ أن أضغط على يدها بقوةٍ وأمضيَ معها .. كانت كلُّها دمعةً إنسانيةً مساحتها تعم العالم .. شمعة انطفأت تُداري البصيص المتبقّي منها بعد أمومة عشرين عاماً ، فرحةً برؤية قطعة من لحمها .. إنه ابنُهَا المرمي وراءَ القضبان .. كانت تدوس بحذائِها عافيتها وطاقتها وسنينَ حياتِها غير مباليةٍ بإنسانيتها . وكنت بجُبني المذعور لا أقوى على النظر إلى عينيها ، كما لم أستطع النظر بعين رجل الأمن عندما استقبلنا .. فحجابي وحجابها أعلامٌ رفعناها نتحدى بها ما في جعبتنا من التربية المميزة .. أحسست أمام كارثتها بالذنب والمسؤولية .. انتهينا من مراسيم وإجراءاتِ الزيارة ودخلنا معاً .. كل ما أكدتُه لنفسي من ضرورة بقائي صلبة متماسكة ، فدروي دور عكاز في يد إنسان تتلاشى قواه . انهارت قوتي أمام رؤيته وهي تضمه إلى صدرها ، بكت وبكى وروى لي بكاؤهما قصة الطفل الذي سرق بيضة وأعجبت أمه بذكائه ، وكان إعجابها مفتاح الجنوح والجريمة في حياته ، وانتهى به المطاف ماثلاً أمام القضاء يطلب قبل إعدامه أن يودع لسان أمه فعضَّهُ انتقاماً منه لأنه كان المجرم الأول .. يا إلهي أولادنا نحن وراء القضبان .. لم ؟ .. كيف ؟ .. من المسؤول ؟

كم من ألسنة الأمهات يجب أن تُحاكم وتُدان ؟

كم من الأيدي يجب أن تُقيد وتُهان ؟

لا أدري كمَّ من العقوبات الصارمة التي يجب أن يعاد بها النظر

وأن يفهم أصحابها أن هناك غيباً وراء كل قضاء وكل قدر

لا أدري كم من الآباء يجب أن يُقدموا كمجرمي حرب

ويدانوا بفهمهم للمسؤولية المعتوه

وتغطية ضعفهم بضباب القوامة المكروه

كم وكم وكم من إنسان يجب أن يُربى ليُربي

ففاقد الشيء لا يعطيه .. والإناء ينضح بما فيه

اختنقت العبرات في صدري وخفت عليه وأمه بين يديه منهارة .. يبقى على جرمه الكبير هو الصغير الابن وتبقى على فاجعتها هي الكبيرة الأم . كم يحتاج إلى ثوابت بعدما تَزَعْزَعَت إنسانيته واهتز .. وأين هو الأب ؟ أين رأس المثلث الثالث ؟ تدخلتُ لأسعف عجزها عن الكلام .. كيف حالُك ؟!

عنوان المقال : الطلاق التربوي	الكاتب : سهى عبد الحميد أحمد

أجابني بصوتٍ خافتٍ : الحمد لله وكالعادة كان لا يقوى أن يكلمني إلا وهو مصوباً نظره إلى الأرض .. لطالما أخافتني هذه النظرة .. لطالما تساءلت عن أسباب الازدواجية في شبابنا وبناتنا .. لماذا ينظر أولادنا في الأرض عندما يكلموننا ونحن أمهاتهم المحجبات ؟ وينظرون إلى صفحات موسوعة العوالم المنهارة بكل أشخاصها وصورها الفاضحة بل ويحملقون بها ؟

كانت تنظر إليه نظرة كل الأمهات الخائفات من مسؤولية التربية وخيبتها ، وكان ينظر إلى وجهها نظرة اعتذارٍ ممزوجةٍ بغموضٍ آنَ لنا أن نعرف أسبابه وتوصيه بنفسه ويهز رأسه مستجيباً .. وبين حرقة مشاعرها كأم وتوهج ذعري كشاهد ونار مشاعره كابن .. صعقتني عبارته لا تخافي عليَّ معي هنا الكثير من الشباب المسلمين .. صعقت مع أني وقرأت دراسة بالأرقام .. لكنها مرت بأنفاق عقلي مرور الكرام

وانسحبت تاركةً المساحة الضيقة لخصوصية المأساة وأنا لا أصدق أحقيقة ما أنا فيه أم أضغاث أحلام .. ومضت ساعة من الزمن لدغتني فيها العقارب بكل مسامة من مسامات أمومتي .. خرجت وصوته .. ماما سلمي على بابا .. أنا أصلي هنا ..

خرجنا من عالم القضبان وأنا على ثقة بأن قلبها بقي هناك .. صمتت تماماً وعاقبتني أبجديات العالم ، ووجدتني مفلسة لا أستطيع بدوري أن أتفوه بكلمة .. غيرة على ولدنا اقتلعت أشجار إنسانيتي من الجذور .. رغبة عارمة غلت في شراييني أن أدور على مراكزنا الإسلامية وأصعد منابرنا وأصرخ بأعلى صوتي .. لا تحدثونا في خطب الجمعة والندوات والمؤتمرات الإسلامية عن عولمة الغرب .. عن اللوبي الصهيوني .. عن صفات الداعية والدعاة ..كفى!! صغيرنا وكبيرنا أدرك أن شخصنا الإسلامي مفعول به وليس فعلاً أو فاعلاً .. ادعوا الآباء والدعاة ليكفوا عن الطلاق التربوي .. حتى في زيارة كهذه الأبُ غائب حقق بطولة يستحق عليها التكريم ، فقد أحلها من قسمه عليها بالطلاق لو ذهبت لزيارته لكنه استجاب لحنينها بعدما رآها تذوب يا لروعة إحسانه !! طرَدَه من رحمة أبوَّته المستقيمة

بلى .. مصيبتنا .. أبوَّة المهازل وأمومة الزلازل . ضربه مراراً وتكراراً وسنواتُ طفولته الأولى تشهد على ذلك . ما أعظم المربين الذين يخافون أن تضيع من ذاكرتهم أرقام أقدامهم فيدمغون بها جلود أبنائهم ، أأغضبته علبة الدخان التي اكتشفها في جيب ولده .. أم عينات ممنوعة في حقيبته .. متى يفهم

مجلة الرائد

العدد : ٢٤١ الموافق في ذو الحجة ١٤٢٤ هجري ٢/٢٠٠٣ ميلادي

عنوان المقال : الطلاق التربوي	الكاتب : سهى عبد الحميد أحمد

كل منا لغة الآخر . نُدين الغرب بجرائم انهياره وماديته ولا نواجه الشرق بشخص تربيته المجرمة ونتساءل : كيف ننشئ أولاداً لا يكونون إمّعة .. طرده من البيت عندما أراد بطريقته أن يعبر عن ذاتيته ومراهقته المفطومة عن الحوار والمشاركة فحاكى مجتمعه المألوف بالنسبة إليه .. وحرقة قلوب الأمهات تدفع الضريبة الباهظة .. وحتى أن العاملين في الدعوة يريدون أبناءاً بمواصفات خاصة .. ماذا قدمت مدينة دعاة أفلاطون السقيمة من نماذج تُذكر ؟ ..

ودعت الأم المكسورة وعدت لأمسك قلمي وأضيف حدثاً جديداً في موسوعتي التي سميتها فقه تربية الأقليات ، متمنية لو كانت لعيني قدرة التقاط صور ابننا المرمي وراءَ القضبان ، نعم كلنا .. لأنه قد يكون ابني أنا أو ابنك أنت لأعلق صوره في ندواتنا ومحاضراتنا لعلنا نتمتع بخلق النصيحة ونترك خلق الفضيحة .. لعلنا نشتري دفاتر التفقد التي ما عادت بحسابنا ونعمل على إدراج أسماء أولادنا .. فمرحلة البلوغ وظهور الصور الباهتة للحاهم ليست هي البرزخ الفاصل بينهم وبيننا .

لعلنا نقف وقفة تقرير لا تبرير لننتهي من عدم مبالاتنا بغياب أبنائنا فقط من مجالسنا .. فقط من مجالسنا .. فقط من مجالسنا ..

كفوا عن الطلاق التربوي .. الأب الممول الجابي والأم الطاهية المنظفة والعم المقطّب الجبين .. والخالة الراهبة ، وكفانا تصدير محاضرات اليجب واليجب .. مللنا تشخيص الأمراض لنبدأ بالعلاج عمالاً كنا أم أكاديميين .. ، تجاراً في سوق البورصة والأسهم أم دعاة ، إذا لم نستوعب أبناءنا بأخطائهم الصغيرة والكبيرة ستستوعبهم السجون والمصحات ..

أما أنا دمغت صورة ابننا أحمد أو محمد في وجوه أطفالي حتى أؤدب نفسي وأروضها وأذكرها بحدودها وحقوق الأبناء على الآباء .. وأحاول أن أطبق ما تعلمت من رحمة معلمي وحبيبي ورسولي محمد ﷺ وقد أتاه شاب يرغب بالزنا ويجهر برغبته ، فما طرده ولا عنفه ولا أخرجه عن الدين والملة ، بل ضمه واحتواه ودعا له مكلماً إياه بلغة الفم والجسد خيارين لا ثالث لهما ؛ إما أن يكون أولادنا في عاصفة العولمة بجنونها وصخبها وخروجها عن كل ما هو سليم ومعافى ومألوف أبطالها أو ضحاياها .